

## خرافة آدم

### حكيم الليبي

لن أعقب على كلام السيد صلاح عبد العزيز في مقاله المعنون " كل ليبي آدمي .. إلا من أي " فيما يتعلق بزواج الأمازيغيات لأن الأخ " الزواري " قد كفى ووفى في الرد عليه في مقاله " يا أصحاب البسمللة والسفتلة " .. ولكني سأعقب على بعض النقاط التي ذكرها في مقاله متجاهلاً شتائم المتكررة وتهديده بشطي من سجل الليبيين فقط لأنني لا أشاركه الإيمان بمعتقده الديني .. أول ما يلاحظ من كلامه أنه لا يعرف شيئاً عن نظرية التطور يزيد عما يعرفه العامة .. فهو لا يعرف عنها إلا أن أصل الإنسان قرد وكان الله بالسر عليمًا .. وكأن النظريات العلمية تولد وتعيش لمئات السنوات بهذه البساطة .. وطبعاً لن أرد على هذا الفهم الخاطيء فالجال يضيق عن ذلك ولكني أنصح أن يقرأ كتاباً حول النظرية بعقل مفتوح غير مسمم بأيات القرآن ولغو المشايخ لعله يستفيد ..

وثاني الملاحظات أنه كغيره من أصحاب ثقافة "سعنا وأطعنا" لا يعرف إلا التسليم .. فيقول في مقاله "فعجب تسليم عقول اللادينيين لشخص اسمه تشارلز بن دارون" .. ولا ندري متى سمع في ساحة العلم بمصطلح اسمه التسليم .. فالتسليم مصطلح ديني وليس مصطلحاً علمياً .. فلا يطمع أحد من العلماء بأن يسلم له حتى تلاميذه فضلاً عن أتراكه ومنافسيه .. وتشارلز دارون لم يحظ بالتسليم من أحد بل شنت عليه كافة أنواع الحروب ومع ذلك فهاهي نظريته اليوم بعد مائة وخمسين عاماً أقوى مما كانت عليه يوم أشهرها .. هذا مع العلم أنه لم يكن قد اكتشف في عصره الحمض النووي ولا البيولوجيا الجزيئية ولا الجاهر الالكترونية .. ولكن مع تقدم العلم يزداد العلماء اقتناعاً (وليس تسليماً) بصحتها ..

مما يطمئن به الخلقيون (المؤمنون بقصة خلق آدم) أنفسهم أن جامعة أو مدرسة ثانوية في الولايات المتحدة قد ألغت تدريس نظرية التطور .. وطبعاً فالولايات المتحدة فيها بضعة آلاف من الجامعات فإذا تملك زمام أحدها بعض المهوسين الدينين فلا عجب أن يلغوا تدريس نظرية التطور .. وهذا ليس عجيباً فإذا وصل الرئيس بوش وزمرته المسيحية المتعصبة لرأس السلطة فلم لا يصل بعض المهوسين إلى رئاسة إحدى الجامعات؟

ولن ألوم السيد صلاح على المعلومة التي أوردتها بتحريم تدريس التطور في جامعة كانساس إذ أنه نقلها عن "جورج المصري (لاحظ اتفاق الدينين من كافة

الديانات على محاربة العلم) " وبهذا يكون قد أعذر نفسه ولكي مع ذهبت إلى موقع جامعة كانساس ووجدت أن بها قسماً كاملاً لتدريس نظرية التطور يسمى بقسم الـ "Ecology & Evolutionary Biology" .. وطبعاً لم أفاجأ بهذا فكل جامعة أو حتى مدرسة ثانوية تحترم نفسها في يومنا هذا لا بد لها من أن تدرس نظرية التطور في خانة العلم .. وتستطيع أن تدرس قصص الجنة والشياطين والأشجار المحرمة في حصة الدين أو في قصص ما قبل النوم .. ولم تبق إلا بلداننا المنكوبة بالدين والتي تناطح العالم بنسبة الأيمن وأشباه الأيمن من دكاترة يتحدثون عن خيام اللؤلؤ المجوفة والخور العين والأشجار التي يسير تحتها الفرسان لمدة خمسمائة سنة والتي تحاك منها ثياب أهل الجنة .. ولذلك فإنني أرجو من الأخ صلاح أن يوضح لنا كيف لهذه الجامعة أن تحرم (لاحظ المصطلح الديني هنا) تدريس نظرية التطور وبها قسم كامل اسمه قسم بيولوجيا التطور؟

سؤال آخر إلى السيد صلاح: إذا كانت نظرية التطور هباء منثوراً كما تزعم فكيف تأتي لها أن تصمد لمدة قرن ونصف في عالم يتسارع فيه معدل الكشف العلمي بالدقائق وليس بالساعات أو الأيام؟ .. لن يجد السيد صلاح وأمثاله ممن حاورتهم في هذا الموضوع سوى نظرية المؤامرة ملجأ وملاذاً .. فهم يدعون أن العلماء يريدون إنكار وجود الله ويسعون لذلك لغاية في أنفسهم .. وإذا صح ذلك عن عالم أو آخر أو عشرة أو مائة لربما صدقنا ذلك ولكن ما الذي يجعل عشرات الآلاف من العلماء والباحثين في جامعات العالم المختلفة من استراليا إلى اليابان إلى أمريكا وأوروبا وعلى مدى مائة وخمسين سنة يتفقون على رأي رجل واحد في تضليل العلم والعالم لهذه الغاية؟

ودعني أصحح للسيد صلاح معلومة مهمة وهي أن الجدل الدائر في الولايات المتحدة ليس حول منع (أو تحريم) تدريس نظرية التطور بل هو حول إمكانية تدريس "نظرية" أخرى يسمونها نظرية "التصميم الذكي" أو "Intelligent Design" ويرمز لها بالـ "ID" .. أي ببساطة فإن بقايا المؤمنين المسيحيين يطالبون فقط وبكل تواضع بأن يسمح لهم بتدريس "نظرية" التصميم الذكي جنباً إلى جنب مع نظرية التطور وليس كبديل لها.. لاحظ أنني أضع كلمة نظرية بين مزدوجين ولذلك لأنها في حقيقة الأمر ليست نظرية وذلك بأصل التعريف .. فليس هناك نظرية إلا ومعها شروط اختبارها .. وهذا ما لا يوجد في "نظرية" التصميم الذكي ومن باب أولى في نظرية (أو قصة) الخلق (أي خلق آدم من تراب) .. ولا ننسى أن نذكر أن هذا الجدل يدور في الولايات المتحدة فقط وليس في أوروبا أو اليابان أو أستراليا أو أي من الدول المتقدمة .. وذلك بسبب النكسة الدينية والحضارية التي تمر بها الولايات المتحدة والناجئة عن القوى التنظيمية الفائقة التي يتمتع بها اليمين المسيحي والذي جاء بأجهل رئيس في تاريخ الولايات المتحدة إلى السلطة.

من المفيد أيضاً أن يعلم هؤلاء أن نظرية التطور لا تتنافى مع وجود الإله

فليس كل مؤمن بنظرية التطور جاحداً لوجود الإله بالضرورة .. فقد يكون الإله موجوداً وقد خلق الخلية الأولى ثم قدر لعملية التطور أن تأخذ مسارها على مدى ثلاثة مليارات سنة تقريباً .. ويكفي أن يعلم أنه حتى القائلين بالتصميم الذكي لم ينكروا نظرية التطور ولكنهم يرون أن ورائه يداً إلهية توجه التطور في مسلك مرسوم .. وهو زعم لن نناقشه لأنه كما قلت لا يمكن اختباره ولكنه يفيد بأن هؤلاء لا يملكون أن يردوا جميع الأدلة على التطور هكذا بجرة قلم كما يفعل أهل الإيمان الأعمى.

وقد اقتبس السيد صلاح شيئاً من كتاب (الأصول المفاجئة) لجيفري شوارتز والذي نعتته بالعالم البيولوجي .. وللتصحيح فإن جيفري شوارتز عالم "أنثروبولوجي" وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه ومعتقداته وبذلك فالرجل ليس بحجة في عالم البيولوجي كما أراد أن يوحي (طبعاً عن غير قصد وتباً للنسخ واللصق الذي يضع صاحبه في مواقف محرجة).

ولشد ما أكره أن أخوض بالقارىء في تفاصيل دقيقة ولكني أود أن أنتهز هذه الفرصة لتصحيح معلومة خاطئة يتداولها الكثيرون حتى ممن حظوا ببعض الدراسة في هذا الجانب وليس فقط السيد صلاح الذي درس نظرية التطور على يد بن باز وابن عثيمين .. هذه المعلومة تتعلق بعدة نظريات داخل نظرية التطور ذاتها .. فبعض العلماء يرى أن التطور تم بتغيرات طفيفة جداً وبطيئة ومتراكمة على مدار فترة زمنية طويلة جداً بينما يرى آخرون (ومنهم جيفري شوارتز لسوء حظ الأستاذ صلاح) أن التطور يتم في طفرات تستغرق فترات قصيرة نسبياً ثم تخضع الكائنات لفترات استقرار طويلة جداً وهذه النظرية تسمى نظرية الإتزان المتقطع (الترجمة من عندي) "**Theory Of Punctuated Equilibrium**" .. ومرة أخرى لسوء حظ الأستاذ صلاح فإن هذه النظرية جزء من نظرية التطور ولكنها تختلف مع الفهم السائد في النظر إلى معدل التطور .. هل هو رتيب وطفيف أو على هيئة طفرات كبيرة يتبعها استقرار لفترة طويلة جداً ..

وأما استدلاله بكتاب مايكل دنتون فهو كسابقه فالرجل لا ينكر أبداً نظرية النشوء والارتقاء ولا ينكر أن التطور قد حدث ولكنه يرى أن تفسير التعقيد في الكائنات فقط بالتغيرات الإحيائية (**mutations**) والانتقاء (**selection**) غير كافٍ .. فهو بهذا ينتقد نظرية دارون الكلاسيكية ولكنه لا ينفي حدوث التطور أو ينكره . ويرجح أن يكون خلقياً (أي مؤمناً بالخلق) ولكنه لا يدعي أن الله خلق آدم رجلاً كاملاً في أحسن تقويم .. ولكنه خلق الخلية الأولى ثم تركها تسير مسيرة التطور الذي صممه الخالق (بافتراض وجوده) بعناية وساهم في توجيهه وهذا اعتقاد يخلط بين الخلق والتصميم الذكي وفي كلتا الحالتين ليس للسيد صلاح حجة في كتاب هذا الرجل.

وتبقى نقطة أخيرة وهي أن من يريد أن ينتقد نظرية التطور فمرحباً به فهذا ما يفعله العلماء يومياً .. فهم ينتقدون النظرية ولكنها انتقادات لم تؤد إلى هدمها كما يأمل إخواننا ولكنها ساهمت في تنقيحها وتهذيبها .. أما إذا كان لديك البديل فهلم به ولا تتأخر شرط أن يكون دليلاً علمياً أو على الأقل نظرية علمية يمكن اختبارها وليس قصة رواها ملاك ذو أجنحة يهبط في جح الظلام على رجل في كهف فيخبره بقصص لا يصدقها الأطفال ثم تجد من يريد أن يناطح بها العلماء الذين أفنوا أعمارهم في المختبرات.

وقبل أن أختتم أحب أن أتنبأ بما سيلجأ إليه السيد صلاح عبد العزيز .. سيذهب مسرعاً إلى موقع الشيخ البيولوجي (عفواً أقصد الشيخ الذي أصبح عالماً) هارون يحي ويقتبس من كتبه بعض الشبهات وينسخها في مقال آخر، أو لعله يكلف بذلك أحد المخلصين .. وفي جميع الأحوال لا يهمني هذا في شيء ولكني أردت أن أساهم في توعية القارئ الذي لم تتح له فرصة القراءة بغير العربية نتيجة التجهيل الإجباري للأنظمة الدكتاتورية من جهة والتجهيل المفروض من رجال الدين بحظرهم تدريس نظرية التطور وترجمة الكتب العلمية المفيدة إلى اللغة العربية ..

هذا ما أردت قوله وأستودعكم عقولكم حتى لقاء قريب..

---